هجرة الكفاءات العراقية الأسباب والمعالجات

أ.د. ستار جبار الجابري(*)
sattar_aljabiri@yahoo.com

الملخص:

تعد ظاهرة هجرة الكفاءات العلمية العراقية من الظواهر الفريدة في العقود الأخيرة، ويجب دراستها بدقة، كونها ظاهرة إجبارية، وليست طوعية، في الغالب . ولمعالجة تلك الظاهرة الخطيرة على حاضر العراق ومستقبله، فقد اقترح البحث مجموعة من الاجراءات العملية التي يراها الباحث ضرورية، للحد أولاً من نزيف العقول العراقية، ومن ثم تقديم المغريات المعنوية والمادية للعقول المهاجرة، بغية العودة إلى بلدها، والمساهمة الفعالة في إعادة البناء.

المقدمة:

تعد ظاهرة هجرة الكفاءات العلمية العراقية من الظواهر الفريدة في العقود الأخيرة، ويجب دراستها دراسة مغايرة عن الدراسات الكلاسيكية، كونها ظاهرة إجبارية، وليست طوعية، في الغالب .

وإذا كانت أسباب الهجرة في أغلب الحالات اقتصادية، فإنها بالنسبة للعراق ليست كذلك، على الرغم من وجود العامل الاقتصادي، ولكنه لا يتقدم على العوامل الأخرى . فالعراق يعد من أكثر بلدان الشرق الأوسط غنى لما يمتلكه من ثروات معدنية وزراعية ومائية، فضلا عن خصوبة أرضه وموقعه الجغرافي وحضارته التي تمتد في عمق التاريخ .

(*)مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية–جامعة بغداد.

وعموما لم يشهد العراق موجات نزوح جماعية كتلك التي عاشها في عقدي الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين، فضلاً عن الحقبة التي أعقبت العام ٢٠٠٣ ، لذلك لابد من دراسة الأسباب الحقيقية لتلك الهجرة، لمعالجتها، ووقف النزيف المستمر للعقول العراقية التي لم تترك بقعة في الأرض إلا ولجأت إليها.

لقد شكل ملف هجرة الكفاءات العلمية من العراق إلى الدول العربية، أو الدول الغربية أخطر أنواع الهجرات على تطور المجتمع العراقي وتقدمه، لاسيما بعد اتساع هذه الهجرات نتيجة عوامل متعددة سياسية واقتصادية وعلمية .

وخلال العقود السابقة كانت الدول العربية نفسها مصدر هجرات متبادلة للأدمغة والعقول، ولم تكن لتشكل آنذاك ظاهرة سلبية لأنها كانت توظف خبراتها في خدمة تطور المجتمعات العربية، أما الآن فقد اتخذت أغلب الهجرات طريقها نحو القارة الأوروبية والولايات المتحدة .

أولاً : في ماهية هجرة الكفاءات

إن هجرة الكفاءات، أو هجرة العقول لها عدة تعريفات، ففي الموسوعة البريطانية تعرّف : " انتقال أشخاص تلقوا تعليماً جامعياً أو مهنياً، اختاروا أن يغيروا البلد أو المجال الاقتصادي، من أجل رفع رواتبهم أو ظروف عيشهم " ١.

وكان أول من استعمل لفظة " هجرة العقول " أو " نزيف الأدمغة " وزير العلوم البريطاني اللورد هيلشام عام ١٩٦٣، عندما قال " أن الولايات المتحدة تعيش على حساب عقول أناس آخرين " ، وكان يعبّر عن هجرة الكفاءات التي سببت لبريطانيا مشاكل اقتصادية صعبة ابتداءً من ستينيات القرن الماضي ٢.

وتعرف أيضاً بأنها الحركة البشرية العابرة للحدود للعاملين من ذوي الكفاءات العلمية إلى الغرب، ويعرف هؤلاء بأنهم درسوا للحصول على درجة علمية أو يملكون خبرة في مجال أكاديمي معين ٣. فيما عدّت منظمة اليونسكو هجرة العقول بأنها : " نوع شاذ من أنواع التبادل العلمي بين الدول، يتسم بالتدفق في اتجاه واحد، ناحية الدول المتقدمة أو ما

يعرف بالنقل العكسي للتكنولوجيا، لأن العقول هي فعلاً نقل مباشر لأحد أهم عناصر الانتاج وهو العنصر البشري ٤.

إن هجرة الكفاءات من أهم العوامل المؤثرة على تطور الاقتصاد الوطني والتركيب الهيكلي للسكان والقوى البشرية في المجتمع، وذلك بسبب تزايد أعداد المهاجرين من العلماء والمفكرين والاختصاصيين، وبالتالي حرمان البلد من خبراتهم ومؤهلاتهم العلمية، فضلاً عن الخسائر المالية التي يتحملها البلد جراء استمرار هذه الظاهرة .

إن معظم الدول العربية، ومن بينها العراق، تتضمن عوامل طاردة للكفاءات، أي " مجموعة من الأسباب والمعوقات التي تعيق التطور الفكري والعلمي لدى العلماء والمفكرين، مما يحفزهم ويدفعهم إلى اتخاذ قرار الهجرة، أو النزوح إلى المكان الذي يؤمن لهؤلاء القدر الكافي من عوامل الاستقرار، مدعوماً بمحفزات الابداع . وقد تكون تلك المعوقات والأسباب نتيجة إلى عوامل متعددة، منها ما هو سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي أو تقني أو تربوي " ٥.

ثانياً : العوامل الدافعة أو الطاردة لهجرة الكفاءات

هناك عدة عوامل عامة تشمل العراق، وغيره من البلدان، ولاسيما العربية منها تدفع الكفاءات العلمية على الهجرة من بلدانها، ومن بينها :

١- تشيع في العراق حالات من التحولات السياسية والرقابة الذاتية على الفكر ومحاولات لصهر المفكرين في أجهزة المؤسسات الحكومية، وهي عوامل دفع قوية للمثقف لدرجة تجعل منه لاجئا أكثر منه عقلاً .

٢- ضعف المردود المادي لأصحاب الكفاءات العلمية، وانخفاض المستوى المعاشي لهم، وعدم توفر الظروف المالية والاجتماعية التي تؤمن المستوى المعاشي المناسب لهم .

٣- وجود بعض القوانين والتشريعات والتعهدات والكفالات المالية التي تربك أصحاب الخبرات، فضلاً عن البيروقراطية والفساد الإداري، وتضييق الحريات على العقول

المبدعة، والتي تبدأ من دخولهم البوابات الحدودية لدولهم لأصغر موظف استعلامات في الدوائر الرسمية، مما يولد لديهم الشعور بالغبن .

٤- عدم الاستقرار السياسي والاجتماعي، والإشكاليات التي تعتري التجربة الديمقراطية في العراق، والتي تؤدي في بعض الأحيان إلى شعور بعض أصحاب الخبرات بالغربة في وطنهم، أو تضطرهم إلى الهجرة سعياً وراء ظروف أكثر حرية وأكثر استقرار .

٥- سفر أعداد من الطلبة إلى الخارج، أما لأنهم موهبون بشكل غير عادي ويمكنهم الحصول على منح دراسية، أو لأنهم من عائلات غنية، وبالنتيجة يندفعون إلى التوائم مع أسلوب الحياة الأجنبية حتى يستقروا في الدول التي درسوا فيها ٦.

٦- إن تكيف كثير من طالبي العلم مع الحياة في الدول الأجنبية، ومن ثم زواجهم من الأجنبيات، وبالتالي انجابهم للأولاد، مما يضع المهاجر أمام الأمر الواقع فيما بعد، إذ يصعب عليه ترك زوجته وأولاده لاعتبارات عديدة، منها أن زوجته وأولاده قد لا يستطيعون العيش في بلده الأصلي، وغير مستعدين لمصاحبته، كما أن كثير من التشريعات التي تضع أمامه العراقيل في حال رغبته العودة إلى بلده الأصلي، ومنها على سبيل المثال عدم تعيين المواطنين المتزوجين بأجنبيات في مناصب عالية، أو قد لا يتمكن من توفير امتيازات لعائلته كتلك التي كانت متوفرة لديهم سابقاً، ومع مرور الأيام تنتهي لدى المهاجر فكرة العودة إلى وطنه ٧.

٧- من الأسباب المهمة حالة الركود في تطور القوى المنتجة والتي وجد تعبيراً لها في بقاء وسائل الانتاج في الصناعة والزراعة والتجارة وغيرها دون تغيير، وحرمان سكان المجتمع من أبسط الخدمات الإنسانية كتوفر مياه الشرب والكهرباء والصحة ٨.

٨- يعاني بعض العلماء من انعدام وجود اختصاص وفقا لمؤهلاتهم، كعلماء الذرة وصناعة الصواريخ والفضاء، ناهيك عن مشاكل عدم تقدير العلم والعلماء، وما أصدق قول روبرت ماكنمارا مدير البنك الدولي السابق، والذي قال في هذا

الصدد: "أن العقول تشبع القلوب بصفة عامة في أنها تذهب حيث تلقى التقدير"٩.

٩- مجال أنظمة البحث العلمي والسياسات التقنية، فيدفع بالأدمغة العراقية إلى الخارج بعوامل بطء التطور في التعليم الجامعي وعدم توفير الاقتصاد العراقي سوقاً للبحث والتطوير ذلك في ظل الخلل الأكاديمي الواضح في الجامعات العراقية وعجز المجتمع العراقي عن استيعاب الطاقات الإبداعية.

١٠- صعوبة أو انعدام القدرة على استيعاب أصحاب الكفاءات الذين يجدون أنفسهم إما عاطلين عن العمل، أو لا يجدون عملاً يناسب اختصاصاتهم العلمية في بلدانهم، وعدم توفر التسهيلات اللازمة لهم، وعدم وجود المناخ الملائم لإمكانية البحث العلمي ١٠.

ثالثاً : الآثار الناجمة عن هجرة الكفاءات

تفرز ظاهرة هجرة العقول إلى البلدان الغربية عدة آثار سلبية على واقع التنمية، ولا تقتصر هذه الآثار على واقع ومستقبل التنمية الاقتصادية والاجتماعية فحسب، ولكنها تمتد إلى التعليم وإمكانية توظيف مخرجاته في بناء وتطوير قاعدة تقنية رصينة، ومن أهم انعكاسات هجرة العقول ما يأتي ١١:

١. ضياع الجهود والطاقات الانتاجية العلمية التي تذهب إلى البلدان الغربية، بينما تحتاج التنمية لمثل هذه الكفاءات في مجالات الاقتصاد والتعليم والصحة والتخطيط والبحث العلمي والتقنية .

٢. تبديد الموارد الإنسانية والمالية التي انفقت في تعليم وتدريب الكفاءات التي تحصل عليها البلدان المتقدمة دون مقابل .

٣. ضعف وتدهور الإنتاج العلمي والبحثي مقارنة مع الإنتاج العلمي والبحثي للمهاجرين في البلدان الغربية .

رابعاً : مراحل هجرة الكفاءات العراقية وأسبابها

لقد هاجرت أعداد قليلة من الكفاءات العراقية في العقود التي تلت تأسيس الدولة العراقية في العام ١٩٢١، لعدة أسباب أهمها ضعف دوافع الهجرة، فضلاً عن قلة أعداد الطلبة الدارسين في الخارج . ومرت هجرة الكفاءات العراقية بعدة مراحل، يمكن إيجازها بالآتي :

١- المرحلة الأولى : ١٩٤٠-١٩٦٨ :

بدأت المرحلة الأولى للتهجير مع العام ١٩٤٠ من خلال تهجير اليهود العراقيين، الذين كانوا يشكلون وقتها نسبة متقدمة من كفاءات العراق العلمية والطبية والثقافية، مما ترك فراغاً واضحاً في البنية العلمية العراقية وقتها.

تلتها الموجة الثانية في عام ١٩٥٨ بعد تغيير الحكم الملكي بالحكم الجمهوري، وما تبعه من صراع دموي على السلطة عام ١٩٦٣، إذ هاجرت أعداد من الكفاءات العلمية العراقية ١٢.

٢- المرحلة الثانية :خلال الحقبة ١٩٦٨- ١٩٧٩ :

بعد تزايد الصراع السياسي في حقبة الستينيات من القرن الماضي، فقد تزايدت بشكل ملحوظ هجرة العقول العراقية، إذ فضل كثير من الطلبة الذين أنهوا دراساتهم في الجامعات الغربية، ومن بينهم العديد من البعثات الحكومية البقاء في تلك الدول . ويعد العامل السياسي السبب الرئيس للهجرة الإجبارية والطوعية في تلك الحقبة، أما العامل الاقتصادي فكان ثانوياً، ولم يكن السبب الأساس للهجرة ١٣.

وبعد تفاقم مشكلة عدم عودة الملاكات العلمية، ونزوح بعض الملاكات من داخل العراق إلى الخارج وحاجة الجامعات العراقية إلى الأساتذة، سنّت الحكومة العراقية في العام ١٩٧٥ قانون ١٥٤ لتشجيع عودة الكفاءات العلمية العراقية على العودة، مع توفير بعض المحفزات المادية . ومن تلك المحفزات تغطية تكاليف السفر للشخص وعائلته ومتلكاته، فضلاً عن إعفائه من الضريبة لمدة عام واحد، ومنحه قطعة أرض سكنية مع توفير القروض للبناء، وغيرها من المحفزات . وبالفعل استجاب العديد من العقول العراقية في الخارج، ولاسيما بعض

الطلبة الذين أنهوا دراساتهم العليا في الجامعات الغربية، وعادوا إلى العراق ليتمتعوا بتلك الحقوق لمدة من الزمن ١٤.

ويبين الجدول الآتي العائدين إلى العراق حسب الاختصاص في عام ١٩٧٥ بعد سن قانون ١٥٤ لعودة الكفاءات العلمية العراقية ١٥.

الشهادة	علوم	طب	هندسة	زراعة	انسانيات	نفط	المجموع
دكتوراه	١٣٧	٧٠	٨١	٤٧	٧١	٦	٤١٢
ماجستير	٣٣	١٩	١٠٦	١٥	٦٢	٣	٢٣٨
دبلوم عال	١	٣٩	١٢	١	٢	....	٥٥
المجموع	١٧١	١٢٨	١٩٩	٦٣	١٣٥	٩	٧٠٥

ولم ينجح القانون في تحفيز الكثير من الكفاءات على العودة، بل أن المحفز للبعض على العودة كان بسبب المكاسب المادية، وسرعان ما غادرت معظم الكفاءات التي عادت إلى العراق مرة أخرى بعد مدة قصيرة من بقائها في الوطن، بسبب عدم توفر البنية التحتية للبحث العلمي، وبسبب تدخل السياسة في الحصول على منصب وظيفي .

وكان من الأسباب المهمة التي دعت لإصدار ذلك القانون، البدأ ببرنامج التطوير والتصنيع العسكري، الذي عملت فيه بعض الكفاءات العلمية التي عادت في العام ١٩٧٥، لاسيما أصحاب الخبرة في مجال الحاسبات الالكترونية والفيزياء والكيمياء النووية ١٦.

وبينت دراسة لليونسكو أن العراق واحد من ضمن سبع دول عربية يهاجر منها كل عام عشرة آلاف من المتخصصين كالمهندسين والأطباء والعلماء والخبراء في مختلف الاختصاصات ١٧.

ازدات هجرة العقول العراقية النصف الثاني من عقد السبعينيات، نتيجة اشتداد الصراع السياسي بين الحزب الحاكم والأحزاب السياسية المعارضة، وكانت طبيعة الصراع تحمل طابعاً سياسياً وإيديولوجياً، تلخص بالصراع على السلطة، وهاجرت خلال تلك الحقبة

أعداد مهمة منها إلى البلدان العربية، وبالأخص الجزائر وليبيا واليمن، والدول الاشتراكية السابقة، وأوروبا عموماً ١٨.

٣- المرحلة الثالثة : خلال الحقبة ١٩٨٠ - ٢٠٠٣

وبعد اندلاع الحرب العراقية الإيرانية في العام ١٩٨٠ ازداد مستوى الهجرة للكفاءات العراقية، لاسيما بعد زج الكثير من الأساتذة الجامعيين والكفاءات العلمية في أتون الحرب، مما دفع الكثيرين منهم إلى الهجرة خارج العراق، وفضل الكثير من طلاب البعثات العلمية البقاء في دول الغرب بعد انتهاء دراستهم العلمية بدلاً من العودة إلى الوطن ١٩.

شهد عقد التسعينيات من القرن الماضي هجرة كثيفة غير مسبوقة، شملت الكثير من الكفاءات بعد أحداث الكويت عام ١٩٩٠ ، وما أعقبه من اندلاع حرب الخليج الثانية، وفرض العقوبات الاقتصادية الصارمة على العراق، وتوجه الكثير من الكفاءات، ولاسيما أساتذة الجامعات إلى الدول العربية وبالأخص ليبيا، إذ كانت نسبة العراقيين مرتفعة بشكل لافت للنظر، فضلاً عن اليمن والأردن ودول أخرى .

وخلال المدة بين ١٩٩١-١٩٩٨ غادر العراق أكثر من (٧٣٥٠) عالماً تلقفتهم دول أوروبية وكندا والولايات المتحدة وغيرها، ومنهم ٩٠% أساتذة جامعات٢٠.

ويقدر عدد الجالية العراقية في بريطانيا والولايات المتحدة بأكثر من نصف مليون مواطن، وطبقاً لتصريح رئيس الوزراء البريطاني الأسبق توني بلير في آذار ٢٠٠٣، فقد بلغ عدد العراقيين في بريطانيا أكثر من (٣٥٠) ألف، وعلى افتراض أن نسبة ٥% من هؤلاء من الكفاءات وحملة الشهادات العليا، فإن عدد الكفاءات العراقية في الحقول العلمية المختلفة يبلغ في أقل تقدير (٢٥٠٠٠) شخص، وطبقاً للسجلات الطبية البريطانية يقدر عدد الأطباء العراقيين العاملين في المستشفيات البريطانية يقدر بحوالي (٢٠٠٠) طبيب٢١.

٤- المرحلة الرابعة : مرحلة ما بعد العام ٢٠٠٣

بعد سقوط النظام السابق على أيدي قوات الاحتلال الأمريكي، سادت الفوضى السياسية والأمنية والاقتصادية، ولاسيما من أواسط عام ٢٠٠٤، حتى أواسط ٢٠٠٧، إذ

اشتد الصراع الطائفي والسياسي في آن واحد، حتى وصل الأمر أن الشعب العراقي أصبح على شفا حرب أهلية طاحنة، وكانت قوى داخلية وإقليمية ودولية تقف وراء تلك الفوضى المنظمة، ولكل منها حساباتها الخاصة بها .

إن أهم ما تميزت به تلك الحقبة اشتداد الصراع الطائفي، فضلاً عن العاملين السياسي والأمني، مما ترك أثره السلبي على النخبة العلمية العراقية، وبغض النظر عن انتمائها السياسي والطائفي، مما دفع نسبة غير قليلة من خيرة الأساتذة والأطباء والمهندسين وغيرهم من أصحاب الكفاءات لمغادرة العراق بسبب المضايقات والتهديدات والقتل . فخسرت الجامعات العراقية المئات من الملاكات العلمية فيها، سواء الذين استشهدوا، أو الذين غادروا العراق بسبب الانفلات الأمني والصراع الطائفي .

وتشير بعض الإحصائيات إلى أن عدد الأساتذة الجامعيين الذين اغتيلوا منذ الاحتلال الأمريكي وحتى نهاية العام ٢٠٠٦ بلغ (٤٧٠) تدريسياً، وأن عدد الأطباء خلال المدة نفسها بلغ (٧٢٠) طبيباً بين قتيل وجريح، حتى أن وكيل وزير الصحة الأسبق صباح الحسيني قال " أن المؤسسات الطبية بدأت تعاني بالفعل من نقص كوادرها الطبية الذين إما قتلوا أو هجروا تحت تهديد المسلحين " ٢٢.

وقد وثقت الحملة الاسبانية لمناهضة الاحتلال ومن أجل سيادة العراق أسماء (٣٢٤) أكاديمياً عراقياً قتلوا مابين الأعوام ٢٠٠٥-٢٠١٣ ٢٣.

ولم يقتصر الأمر على القتل، وإنما تعداه إلى الترويع، فمثلاً حصلت عشرات حالات تمادي الطلبة على الأساتذة دون وجود رادع، أو قانون يكفل الحماية للأساتذة الجامعيين، مما دفع العديد منهم للهجرة، فضلاً عن عدم توفر البيئة المناسبة للبحث العلمي .

ولم تتنبه الحكومة العراقية إلى خطورة هذه الظاهرة المتمثلة بنزيف العقول العراقية، إلا في العام ٢٠٠٨ عندما أصدر مجلس الوزراء القرار ٤٤١ لسنة ٢٠٠٨ بخصوص عودة الكفاءات العراقية، ليقدم تسهيلات عودة ذوي الكفاءات وأصحاب الخبرات من حملة

الشهادات العليا، إلا أن ذلك القرار لم يجد صداه بشكل كبير بسبب استمرار تدهور الأوضاع في البلاد ٢٤.

وخلال مؤتمر منظمة (TEDX) الدولية، أقيم في بغداد في أيلول ٢٠١٥ من أجل تسليط الضوء على أصحاب المواهب والمبدعين، ودعم مشاريعهم العلمية، ذكر المهندس ثامر العاني إن "العراق يمتلك طاقات شبابية لو استثمرت بشكل مهني لكان وضعه أفضل بكثير، ولكن المحسوبية الحزبية والطائفية أجبرت المبدعين من الشباب على التوجه لإقليم كردستان للعمل أو السفر خارج العراق". وأضاف أن " ٣٥٠٠ عالم عراقي، بينهم أكثر من ٥٠٠ يحملون شهادات تخصصية من أرقى الجامعات في العالم، عملوا في تطوير مختلف الأسلحة في أعوام سبقت احتلال العراق في ٢٠٠٣، تم تصفية الكثيرين منهم عقب هذا التاريخ"، لافتاً إلى أن "تصفية العراق من العقول هي السبب". وبين أن "هؤلاء كانوا من العقول العاملة في مجال الهندسة الكيمياوية والفيزياء والاختصاصات والبحوث المتقدمة، فيما هرب آخرون إلى خارج العراق حفاظاً على حياتهم". وتابع حديثه قائلاً :"أغلب علماء العراق في مجال الفيزياء النووية والكيمياء تم تصفيتهم، منهم الدكتور غائب الهيتي، والدكتور مجيد حسين المتخصص في الطرد الذري، والعالم مهند الدليمي، والدكتور شاكر الخفاجي مدير عام الجهاز المركزي للتقييس والسيطرة النوعية".

أما عبد العليم الجميلي، وهو طبيب متخصص في جراحة الشرايين فقال "غادرت البلاد بسبب التهديدات التي تلقيتها بقتلي مع أسرتي، لذلك تركت عيادتي وعملي وسافرت إلى عمان لأكمل طريقي في مستشفى مختص بأمراض الشرايين". وتابع قائلاً: "العراق اليوم يعاني من الافتقار للأطباء المهرة والمتخصصين في مجالات دقيقة؛ بسبب هجرة الكفاءات العراقية إلى الخارج"، مضيفاً أن "هناك إحصائيات تشير إلى ارتفاع حالات الوفيات بسبب أخطاء طبية تحصل في غرفة العمليات، وكل ذلك نتيجة هروب الكفاءات والاعتماد على قليلي الخبرة بتسليمهم مناصب أرفع من مستوياتهم العلمية".

أما الدكتور مهيمن الراوي فذكر أن "عدد الكفاءات والعقول العراقية في المهجر تجاوز عشرات الآلاف، والكثير منهم يعمل في جامعات ومؤسسات ومستشفيات الدول الغربية، ويساهمون في تطوير عجلتها الصناعية والتقنية". وتابع قائلاً: "خسارة كبيرة تلحق البلد من جراء هجرة الكفاءات، لا تقتصر على تحمل كلفة تهيئة الكوادر دون الإفادة منها فحسب، إنما تكمن أيضاً في حرمانها من كل القيم الجديدة المضافة في مختلف فروع الأنشطة الاقتصادية، التي تضيفها هذه الكوادر في الدول التي تهاجر إليها". وأشار إلى الضرر الذي يلحق بأجهزة التعليم من جراء تناقص رصيدها من هذه الكفاءات، الأمر الذي يضعف من قدرتها في تعبئة القوى البشرية اللازمة للتنمية ٢٥.

خامساً : مقترحات لمعالجة ظاهرة هجرة الكفاءات العراقية

بعد دراسة مراحل هجرة الكفاءات العراقية وأسباب تلك الهجرة على مدى أكثر من أربعة عقود، لابد من وضع مقترحات من قبل الباحث لوقف نزيف تلك الهجرة المدمرة لواقع ومستقبل البلد، ومحاولة إعادة ما يمكن إعادته من العقول العراقية المغتربة، من خلال وضع إستراتيجية حكومية للتعامل مع الكفاءات العراقية في داخل العراق، واحتضانها، وتقديم المغريات لها للتمسك بوضعها في البلد، ومن خلال ذلك تقدم الأنموذج الحقيقي الذي يمكن أن يغري الكفاءات العراقية المغتربة بالعودة إلى أرض الوطن وتقديم خبراتها الكبيرة في مجال البناء وإعادة إعمار العراق.

ويقترح الباحث مجموعة من الآليات العملية للتعامل مع هذه الظاهرة الخطيرة، والتي يحتاج تنفيذها لتظافر جهود المؤسسات العراقية كافة، ولاسيما السلطتين التشريعية والتنفيذية، لاصدار حزمة من التشريعات والتعليمات للمساهمة في وقف نزيف الخبرات العراقية أولاً، ومن ثم محاولة إعادة الخبرات المهاجرة ثانياً. ومن بين تلك المقترحات الآتي :

١) لابد من تشريع قوانين وسن تعليمات تحمي الكفاءات العراقية في الداخل، وتضمن لها مستوى معاشي مرموق يكافئ دورها في بناء المجتمع، والكف عن التهديد أو

التلميح بسلب مكتسباتها المحدودة التي حصلت عليها باستحقاقها، وأهمها قانون الخدمة الجامعية الذي يحتاج لإعادة ترصين، لا إلى تقليص أو إلغاء .

٢) معالجة ظاهرة استهداف الكفاءات العراقية، من خلال التهديد، أو الاغتيال، أو الاختطاف، لاجبار ما تبقى منهم على مغادرة البلد .

٣) الاهتمام بتعزيز حرية التعبير، وإتاحة المجال للكفاءات العراقية لكي تدلي بدلوها في مختلف مناحي الحياة، ومحاولتها وضع الحلول المناسبة لمختلف مشاكل المجتمع دون تردد أو خوف من الاستهداف .

٤) ابتعاث الأساتذة الجامعيين في الجامعات العراقية من خريجي العراق في دورات تطويرية، وبعثات بحثية للجامعات العلمية المتقدمة، لتطويرهم أولاً، ومن ثم تقديم الحافز لهم للتمسك بخدمة وطنهم، وعدم قبولهم بالمغريات التي تقدم لهم للهجرة .

٥) لكي نقنع الكفاءة المهاجرة بالعودة إلى أحضان البلد، لا يكفي أن نسن قوانين تغريه بالعودة، قبل أن نقنعه بأن الكفاءة العراقية في الداخل قد أخذت وضعها الطبيعي، وأنها تعيش وضعاً جيداً سواء في المجال الأمني، أو الاقتصادي، أو المعنوي، أو الحرية الفكرية، أو في مجال دورها في صنع القرار بمختلف مناحي الحياة .

٦) التقييم السليم والواقعي لكفاءة العقول العراقية ضمن المعايير العلمية، والاعتراف بأنها ثروة قومية لا يمكن التفريط بها .

٧) الحد من النزيف المستمر للعقول العراقية بواسطة التخطيط العلمي الصحيح والناجع، واستثمارها في المشاريع الوطنية .

٨) التعامل مع ظاهرة نزيف العقول العراقية بجدية عن طريق انشاء لجان مؤهلة ومتخصصة وعلى مستوى عال لبحث هذه المشكلة والتعامل معها بطرق علمية.

٩)مساهمة العقول المهاجرة في عملية صنع القرارات المختلفة وفقاً لاختصاصاتها، والإفادة من طاقاتها، لاسيما في مجال التعليم العالي والبحث العلمي، والمشاريع التقنية والاقتصادية والصحية وغيرها .

١٠)إنشاء بنك معلومات لحصر المعلومات المتعلقة بالعقول العراقية المهاجرة للاتصال بها والتعامل معها .

١١)تشجيع العقول العراقية المهاجرة التي تفضل البقاء في المهجر على استثمار طاقاتها عن بعد في المشاريع المختلفة في العراق .

١٢)الطلب من الخبراء العراقيين في بلدان المهجر بإلقاء محاضرات، وتقديم العون وإبداء الرأي في المشاريع الوطنية المختلفة، ودعوتها لانجاز البحوث العلمية كل حسب اختصاصه .

١٣)تشجيع العقول العراقية المهاجرة على تأسيس شركات علمية تقنية متطورة في العراق ودعمها مالياً ومعنوياً لتطوير المشاريع الصناعية والتقنية في العراق .

١٤)تعزيز أواصر الثقة بين المؤسسات المختلفة المتخصصة داخل العراق والعقول المهاجرة عن طريق تبادل الأفكار والآراء حول مختلف المشاريع العلمية والبحثية .

١٥)إعطاء الأولوية للعقول العراقية المهاجرة في المساهمة وحضور المؤتمرات وورش العمل المتخصصة التي تديرها الجامعات العراقية .

١٦)جرد عدد المؤسسات والمنظمات العلمية والتقنية والمهنية العراقية في دول المهجر، وتقييم نشاطاتها، ومحاولة الإفادة من علاقاتها لخدمة الوطن، وتعزيز التبادل الثقافي بين العراق ودول العالم .

١٧)تشجيع التعاون بين الكفاءات العراقية داخل الوطن، وتلك المهاجرة لانجاز مختلف المشاريع البحثية .

الخاتمة :

إجمالاً يمكن القول أن هناك أربعة عوامل رئيسة كان لها مجتمعة الدور الكبير في هجرة الكفاءات العلمية العراقية على مرور الحقب التاريخية، وهي :

١-العامل السياسي

٢-العامل الاقتصادي

٣-العامل الطائفي

٤-العامل الأمني

إن هذه العوامل الأربعة اختلف دور ومكانة وطبيعة كل عامل منها ارتباطاً بطبيعة المرحلة، وطبيعة النظام الحاكم، فمنذ عقد الستينيات وحتى العام ٢٠٠٢ كان للعامل السياسي، أي الاضطهاد السياسي، والعامل الاقتصادي دوراً كبيراً في هجرة العقول العلمية العراقية .

أما المرحلة ما بعد العام ٢٠٠٣، فإن السبب الأساس لتلك الهجرة كان العاملين الطائفي والأمني، فضلاً عن السياسي، وذهب ضحية هذا الصراع والانفلات الأمني المئات، وهجرة الالآف من خيرة الكفاءات العلمية العراقية بحثاً عن العيش والاستقرار، وشكلت هذه الهجرة خسارة علمية ومادية كارثية، لايمكن تعويضها في أمد قصير .

ولمعالجة تلك الظاهرة الخطيرة على حاضر العراق، ومستقبله، فقد اقترح البحث مجموعة من الاجراءات العملية التي يراها الباحث ضرورية، للحد أولاً من نزيف العقول العراقية، ومن ثم تقديم المغريات المعنوية والمادية للعقول المهاجرة، بغية العودة إلى بلدها، والمساهمة الفعالة في إعادة البناء .

Migration of Iraqi Competencies : Reasons and Treatments

Prof. Dr. Sattar Jabbar Al-Jaberi

Abstract :

The phenomenon of the migration of Iraqi competencies is an unusual phenomenon in recent decades. Being a compulsory and not often voluntary one, it must be studied carefully.

In order to deal with this dangerous phenomenon on the present and future of Iraq, the research proposed a set of practical measures that the researcher considers necessary, firstly, to reduce the bleeding of the Iraqi qualified brains, and, secondly, to provide the moral and material temptations to bring them back to the country to contribute effectively in reconstruction.

الهوامش

[١] نقلاً عن : حنان يوسف ، هجرة العقول العربية – واقع وآفاق هجرة العمالة في ضوء الشراكة الأورومتوسطية ، المنظمة العربية للتعاون الدولي ، القاهرة ، ٢٠٠٦ ، ص ٨٦ .

[٢] المصدر نفسه .

[٣] الياس زين ، هجرة الأدمغة العربية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٢، ص ١٣ .

[٤] ينظر الرابط :**http://www.sudanesesc.com/vb/showthread.php?t=816**

[٥] عبد الناصر أحمد عبد السلام البدراني ، هجرة الكفاءات العربية – الأسباب والنتائج – العراق أنموذجاً ، الأكاديمية العربية المفتوحة في الدانمارك ، كوبنهاكن ، ٢٠٠٩ ، ص ٢٢٤ .

[٦] زبغنيو بريجنسكي ، بين عصرين أمريكا والعصر التكنو ألكتروني ، ترجمة محجوب عمر ، طبع دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ٦٥ .

[٧] افريحة فاطمة زهرة ، عوامل هجرة الكفاءات بالجزائر ، في : بحوث ندوة الكفاءات العربية التي نظمتها الأكوا ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ص ١٥٥–١٥٦ .

[٨] زين محمد جعفر ، هجرة العقول في إطار التحولات الجارية في اليمن ، في : بحوث ندوة الكفاءات العربية التي نظمتها الأكوا ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ص ٧٥–٧٦ .

[٩] الياس زين ، المصدر السابق ، ص ٩٦ .

[١٠] المصدر نفسه ، ص ٩٦ .

[١١] ينظر : الصوفي ولد الشيباني ولد إبراهيم، التنمية وهجرة الأدمغة في العالم العربي ، دراسات إستراتيجية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، العدد ٤٨ ، أبو ظبي ، ٢٠٠١ .

١٢ ضد هجرة الأمغة ، منشور على الرابط :

http://www.scidev.net/mena/migration/opinion/Support-local-brains-against-drain.html

[١٣] نادر عبد الغفور أحمد ، العقول العراقية المهاجرة بين الاستنزاف والاستثمار – دراسة تحليلية لهجرة العقول العراقية المفكرة وكيفية استثمارها لخدمة عراق المستقبل ، مؤسسة الرافدين ، لندن ، ٢٠٠٣ ، ص ١٣ .

[١٤] المصدر نفسه ، ص ١٣ .

[١٥] نقلاً عن : المصدر نفسه ، ص ١٤ .

[١٦] محمد رشيد الفيل ، الهجرة وهجرة الكفاءات العلمية العربية والخبرات الفنية أو النقل العكسي للتكنلوجيا ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠٠ ، ص ١٠٨ .

[١٧] ينظر : المصدر نفسه ، ص ١٠٩ .

[١٨] هاشم نعمة ، هجرة الكفاءات العلمية العراقية – نظرة تحليلية . منشور على الرابط :
hpp://www.Al-nnas.com/ARTILE/HNaama/22re

[١٩] نادر عبد الغفور أحمد ، المصدر السابق ، ص ١٥ .

[٢٠] عبد الوهاب حومد ، هجرة الكفاءات العراقية – نظرة تحليلية . منشور على الرابط :
http://www.iraqpqrliment.com/print.php?sid=57281

[٢١] المصدر نفسه .

[٢٢] مقابلة شخصية مع الدكتور صباح الحسيني الوكيل الأقدم لوزير الصحة (٢٠٠٦–٢٠٠٧) بتاريخ ١٦ حزيران ٢٠١٦ .

[23] **The killing of Iraqi Academics : A War to Erase the Future and Culture of Iraqis , List of Iraqi academics assassinated in Iraq during the US, led occupation Academics assassinated :Updated :November 7, 2013, Spanish Campaign against the Occupation and for the Sovereignty of Iraq.**

[٢٤] جريدة البينة الجديدة ، العدد ١٢٧٤ ، ١٤ نيسان ٢٠١١ .

[٢٥] ينظر هجرة وتصفية العقول تتسبب بخلو العراق من المواهب والكفاءات ، منشور على الرابط :
http://alkhaleejonline.net/articles/1442848621822407600/